وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل

كليةالتربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

أبن المقفع و أثره في النثرالعربي

اعداد الطالبة

طيبة أياد كريم

اشراف

د. زينب علي عبيد الدليمي

1443 2022

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ **49}**

صَدَقَ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

(سورة العنكبوت : 49)

الاهداء

العرفان بالجميل من الاخلاق القويمة التي حَّض عليها ديننا الحنيف..

و لن تكفيُ جمل الُشكر، وحتى لو بلغت ملأ الأرض والسماء ان تعبر عن فضل أمي ،

لن تستطيع كلماتي أن تصف مدى شعوري بالامتنان لصاحب الصدر الرحب والدي.

رفاق الدرب والاهل والخلان

واساتذتي الكرام أصحاب الفكر ألمستنير

اهديكم جميعا بحثي المتواضع

الشكر والتقدير

لقد حباني الله لنعمة طلب العلم فله الحمد والشكر مابقيت وبقي الليل والنهار وامرني بخفض جناح الذل لوالدي ببرهما ومن دواعي البر ان اشكر صنيعهما لاهتداني سبل النور

لا بد لي ان اخطوا خطواتي الاخيرة في الحياة الجامعية من وقفة اعود فيها الى اعوام قضيتها في رحاب الجامعة مع اساتذتي الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتثبت

الامة من جديد.....

وقبل ان امضي اقدم اسمى ايات الشكر والامتنان والمحبة الى الذين حملوا اقدس رسالة في الحياة

الى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة

الى جميع اساتذتنا الافاضل

الى رئيس القسم الدكتور محمد عبد الحسن الشمري

قائمة المحتويات

التمهيد—التعريف بابن المقفع----------6

الفصل الاول

أثر ابن المقفع في الفنون النثرية----------10

الفصل الثاني

أثر ابن المقفع في الالفاظ والمعاني----------19

الخاتمة----------31

المصادر----------32

تمهيد /التعريف بابن المقفع:

عبد الله ابن المقفع وهو كاتب مشهور من العصر العباسي عمل في ديوان عيسى بن علي، وهو فارسي الأصل وكان يدين بالديانة المجوسية لكنه أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح وأيضا عن المنصور، حيث كانا السفاح والمنصور الخليفتين الأوليين من خلفاء بني العباس[١].
يعد ابن المقفع أول من أدخل إلى العربية الحكمة الفارسية الهندية، والمنطق اليوناني، وعلم الأخلاق، وسياسة الأجتماع، وهو أول من عرب وألف، كما يرجع الفضل إلى كتبه في تطور النثر العربي ورفع مستواه الفني إلى أعلى المستويات[٢].

أما نسب ابن المقفع هو روزبه بن داذويه وأسم جده(المبارك)، ولُقّب بهذا الأسم لأنّ الحجاج بن يوسف الثقفي أيام ولايته بلاد فارس كان قد ولى والده(داذويه) خراج فارس، فأخذ بعض المال فضربه حتى تقفّعت يداه، وكانت كنيته قبل الأسلام أبا عمرو، لكن بعد أن أسلم سمي بعبد الله وكني بأبي محمد، وهو من بلاد خوز التي تُعرف خورستان أو كما يسميها العرب الأهواز، وهي قريبة من مدينة البصرة العراقية، وتعيش فيها القباءل العربية منذ الفتح كما يتحدث أهل خوز لغة خاصة بهم ليست سريانية ولا عبرانية ولا فارسية ولا عربية، إلى جانب اللغة الفارسية والعربية التي يتحدث بها عامتهم[٣].

وُلد ابن المقفع في السنة السادسة بعد المئة في بلاد فارس، لكنّه نشأ وترعرع في مدينة البصرة، وكان مولى لآل الأهتم والذين كانوا حينها أهل الفصاحة والخطابة، وكما عرفوا بذلك حتى قبل الأسلام، ومن ضمنهم عمرو بن الأهتم الذي اشتهر بالبلاغة، والذي كان في وفد بني تميم إلى النبي(ص)، وقد قال عنهم ابن دريد في كتاب الأشتقاق:(وفي بني الأهتم رجال معروفون خطباء يطول الكتاب بأسماءهم)[٤]

.....

1-ينظر:أبو العباس، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،،بيروت، دار صادر:151/2.

2- ينظر: ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، بيروت، دار بيروت:1977م/6-7-8.

3- خليل مردم، ابن المقفع أئمة الأدب، المملكة المتحدة، هنداوي:25/2.

4- م.ن:5 .

وتميز ابن المقفع بتعدُّد الثقافات، حيث جمع بين الثقافتين العربية والفارسية وكذلك جمع من حكمة الهنود وفلسفة اليونان، فقد ترجم الفُرس كتب الهند واليونان بعد أن فتح الاسكندر بلاد فارس، وانتشرت فيها الفلسفة اليونانية، وقام ابن المقفع بترجمة بعض الكتب الفارسية عن وضع الهند واليونان فيها أدب ومنها الفلسفة اليونانية وكتب المنطق، فهو عدّ من أواءل الذين ترجموا كتباً في هذا العلم، وهو أول من ترجم كتباً في المنطق لأبي جعفر المنصور، كما يعتقد بعض المستشرقين أنّ ابن المقفع هو الذي وضع طريقة تدوين التاريخ باللغة العربية ومن الأمثلة على ذلك ترجمته لكتاب خداينامة(سير ملوك العجم)[1].

وقد اعترف الجاحظ أيضاً ببلاغة وأدب ابن المقفع، لكنّه أنكر عليه كلمة في الكلام، وقال في ذلك:ومن المعلمين ثُم البلغاء المتأدبين عبد الله ابن المقفع، كان مقدمّاً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير، وكان إذا شاء أن يقول الشعر قاله، وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لا قليلاً ولا كثيراً، وكان ضابطاً لحكايات المقالات، ولا يعرف من أين غُر المغتر ووثق الواثق، وإذا أردت أن تعتبر ذلك إن كنت من خُلّص المتكلمين ومن النّظّارين فاعتبر ذلك بأن تنظر في آخر رسالته الهاشمية، فإنك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم، رديء المدخل في مواضع الطعن عليهم، وقد يكون الرجل يحسن الصنف المصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك أنه لا يحمل عقله على شيء الابعد به[2].

كما عرف ابن المقفع بالأخلاق الحميدة، والكرم والسماحة، والإيثار والصدق، وعرف ببعده عن الكذب والحسد، وبالمروءة، وبسهولة الطبع برصانة، واشتهر بذكاءبه وسعة علمه، وقد قيل فيه :(أنه لم يكن في العجم أذكى منه)، وكما عرف بالوفاء للأصحاب، وقد قال عنه الجاحظ:(كان جواداً فارساً جميلاً) وقال ابن المقفع في الوفاء للأصحاب:(أبذل لصديقك دمك ومالك)[3].

.....

1- خليل مردم، ابن المقفع أئمة الأدب:32.

2- ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية، بيروت،دار مارون :137/1979

3- م.ن:142.

وساهم ابن المقفع في نقل الكثير إلى اللغة العربية فنقل تراثاً ضخماً من الكتب الفارسية التي كتب باللغة البهلوية وهي اللغة الفارسية قبل الإسلام، وقد حوت تلك الكتب ثقافة الفرس وأخلاقهم وسير ملوكهم، فلاقت تلك الثقافة استحساناً وقبولاً لدى الخلفاء العباسيين، حيث كانت الدولة العباسية في بداية ازدهارها وتطورها، ومن أشهر الكتب التي ترجمها ابن المقفع أربعة كتب أولها كتاب(خداينامه) وهو في سير ملوك الفرس، وثانيها كتاب(آئين نامه)وهو كتاب يتحدث عن قوانين الفرس القدامى، وعن ملوكهم وكيفية قيادتهم لجيوشهم، وعن الآداب العامة، وثالث هذه الكتب (كتاب التاج في سيرة أنوشروان)، وهو كتاب في سيرة الملك كسرى وأخلاقه، ورابعها (نامت تنسر) وهو كتاب في تشريعات الفرس القدامى، لكن كل تلك الكتب فُقدت تقريباً، وذلك لأنّ هناك بعض الكتاب ممن جاؤوا بعد ابن المقفع أمثال ابن قتيبة والثعالبي أدخلوا في مؤلفاتهم مادة تلك الكتب لهذا تكون الحاجة إليها مع مرور الزمن قلت فتعرضت للضياع[1].

وإنّ من أهم ما يميز أدب ابن المقفع هو تحكيم العقل فيه، وإخضاعه للمنطق، فهو كان يزن الفكرة فتأتي الإلفاظ على قدر المعاني دون زيادة مملة أو نقص مخل، أما ألفاظه فأسلوبه كان سهل ممتنع أي سهل في المظهر عميق الفهم، وغلب العنصر العقلي والفكري على عناصر الفن في نثره، وهذا في كافة مؤلفاته لاسيما في كتابه الأدب الصغير الذي يمثل ذلك خير تمثيل، كما امتلك ابن المقفع ناصية البلاغة التي تظهر في نثره بأرفع درجاتها، وكان يوصي بالأبتعاد عن وحشي الألفاظ، ومبتذل المعنى، فيقول مخاطباً أحد الكتاب:إياك والتتبع لوحشي الكلام مطمعاً في نيل البلاغة،فإن ذلك العي الأكبر، وقد اشتهر أسلوبه وحذا حذوه كتاب بلغاء، وظل ساءداً حتى ظهر أسلوب الجاحظ هذا واعتبر ابن المقفع من رواد النثر الفني في تاريخ الأدب العربي كلّه[2].

.....

١- ينظر: خديجة جعفر، عبد الله ابن المقفع وأشهر مؤلفاته.

٢-ينظر:سعيد منصور(1983) العقل في أدب ابن المقفع:136-135.

أما عن موت ابن المقفع، فقد مات مقتول في عمر صغير حيث عمره سنة وثلاثون عاماً، فقد ذهب ضحية لخلاف بين عبد الله بن علي وعمه المنصور، حيث خرج عبد الله بن علي الذي كان والٍ على الشام عن عمه المنصور سنة 1754م وطلب الخلافة لنفسه فأرسل المنصور إليه جيشاً بقيادة أبي مسلم الخراساني، فانتصر عليه وهرب عبد الله إلى البصرة، فاختبأ عند أخيه سليمان الذي كان والٍ على البصرة، فقام المنصور بعزل سليمان عن البصرة سنة 1756م وولّى مكانه

سفيان بن معاوية، وظل عبد الله مختبئ عند اخويه سليمان وعيسى، فطلبه المنصور منهما فرفضا إلا بأمان ، ورضي المنصور بذلك فطلبا من ابن المقفع الذي كان كاتباً عندهما أن يكتب الأمان ويبالغ فيه خوفاً من غدر المنصوربهما[1]

حيث كتب ابن المقفع أماناً شديد اللهجة حتى أنّه قال في جملة :(ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي، فنساؤه طوالق، ودوابه حبس، وعبيده أحرار، والمسلمون في حل من بيعته)، هنا غضب المنصور وأوعز بقتله إلى سفيان بن معاوية الذي كان حاقداً على ابن المقفع بسب استخفافه به وسخريته منه، لأنّ ابن المقفع كان مغتاظاً من تولّيه أمر البصرة مكان سليمان، فحين وصل كتاب المنصور يأمر بقتل ابن المقفع تربص به حتى دخل عليه يوماً وأمر بقتله، وقد اختلفت الروايات في طريقة قتله، فقيل إنّه ألقي في بئر وردم بالحجارة، وقيل إنّه ادخل حماماً وأغلق عليه فاختنق، وقيل قد قُطّعت أطرافه والقي به في التنور وهكذا كانت نهاية ابن المقفع[2].

.....

١_ ينظر: بطرس البستاني في الأعصر العباسية :31.

٢_م.ن:33.

الفصل الأول

اثر ابن المقفع في الفنون النثرية

لقد حظي النثر العربي عبر العصور باهتمام الأدباء المحدثين مثله مثل كتب الأدب العربي، فجُلّ تاريخه تناولته بالدراسة، وكان ذلك من فترة الجاهلية إلى يومنا هذا، ومن بين كتب تاريخ الأدب نذكر ما ألفه الدكتور أحمد حسن الزيات، وهو الذي يرى أن «النثر أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله، وعدم تقيده، وضرورة استعماله، وهو نوعان: مسجع إن التزم في كل فقرتين أو أكثر قافية، ومرسل إن كان غيرذلك.[1]

وما نجده عند الدكتور شوقي ضيف عبارة عن موسوعة تطرق فيها إلى دراسة تاريخ الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى غاية عصر الدول والإمارات، كما أننا نلاحظ أنه قام بدراسة عصر بني أمية في كتابه العصر الأسلامي، الذي تحدث فيه عن أبرز فنون النثر في عهد الأمويين وهما الخطابة بأنواعها والكتابة.[2]

وعن فن الخطابة قال:«وأزدهرت الخطابة في العصر الأموي ازدهاراً،لعل العرب لم يعرفوه في أي عصر من عصورهم القديمة،فقد كانوا أصحاب مواهب بيانية»يرى بأن كتابة كما أن الرساءل ازدادت بقوة وذلك لأن حينها شهدت اضطرابات سياسية بغية الوصول إلى السلطة، ولهذا«.....كثرت كثرة مفرطة الرساءل وخاصة السياسية.[3]

.....

١-ينظر:أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي دارالثقافة بيروت ط 1985/29: 25

2-ينظر:شوقي ضيف، العصرالإسلامي، دار المعارف القاهرة ط20: 484

3-م.ن :485.

يعد العصر العباسي(132هـ -656هـ)عصر التطور الحقيقي في النثر العربي،حيث ازدهر هذا الفن ازدهاراً كبيراً،فقد طورالأدباء الأساليب النثرية الموروثة من :خطابة ورسائل،وأضافوا ابداعات جديدة لم يعهدها العرب،مثل:فن التوقيعات،والحكايات والقصص على السنة الطير والحيوان، والمقامات وغيرها، نافذين من خلال هذا التجديد إلى ذوق متحضر،جاء نتيجة تأثرهم بالثقافات المترجمة الى اللغة العربية من منابع شتى:فارسية،وهندية،ويونانية،فأضافوا لقوة الأساليب العربية وجزالتها رقة وعذوبة، وقدرة على تحليل المعاني، والملاءمة بينها وبين حياتهم الجديدة. ومن هنا حدث تحول كبير أظهر خلاله النثر العربي مرونة كبيرة وواسعة، إذ استطاع أن يحتوي كل هذه الينابيع، وان يتسع صدره، لقد غدا كمجرى نهر كبير ترفده جداول من ثقافات متنوعة تنوعاً لا يكاد يعد أو يحصى.[1]

في هذا العصر ظهرعبد الله بن المقفع، الفارسي الأصل، واسمه روزبه بن داذويه، ولد في مدينة جور الفارسية، في بيت يسار ونعمة، كان والده على دين المجوسية إلى أن توفي، ويبدو أن الوالد كان على عناية شديدة بتأديب ابنه حتى أتقن اللغتين الفارسية والعربية، وقد نشأ ابن المقفع بين ظهراني علماء المسلمين، فقد كان والده يعمل في دواوين الخراج على أيام الحجاج بن يوسف الثقفي. دان ابن المقفع(المقتول حرقا سنة 142هـ -762م) بالإسلام عن عقيدة وعلم،وغدا في الكهولة نابه الذكر، وقد مضى يتكسب بصناعة أبيه، فاشتغل في دواوين بلاد العراق اخر زمان بني أمية، وساعده تمكنه من الآداب الفارسية على الرسوخ في اللغة العربية، فجمع بين الأدبين، وفاق الأقران والنظراء، ولذلك فقد انعكست الثقافتان في إبداعاته ومؤلفاته، وترتكز أهمية ابن المقفع في ناحيتين: الناحية الأولى ترجماته، والناحية الثانية تآليفه.[2]

.....

١- ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف،القاهرة،ط1975/6: 441.

2- ينظر: محمد كرد علي، أمراء البيان، دار الأمانة، بيروت،ط1969/3: 88.

لقد نقل عبد الله بن المقفع إلى اللغة العربية تراثاً ضخماً من آثار اللغات الفارسية والهندية واليونانية، ولعل ابن المقفع هو أول من فتح هذا المعين الذي أغدق على العربية بالخير الكثير. ومن أهم الكتب التي ترجمها(خداينامة) في سير ملوك الفرس و(التاج) في سيرة الملك/كسرى أنوشروان و(آئين نامة) في أحوال الفرس وعاداتهم وأخلاقهم و(مزدك) في الديانة المزديكية. ومن الآثار اليونانية قام بترجمة ثلاث كتب في المنطق للفيلسوف اليوناني/آرسطو هي:المقولات، والقياس،والجدل،ومن الآثارالهندية نقل أو عرب كتابه الشهير: كليلة ودمنة. أما مؤلفاته أو ابداعات ابن المقفع، فهي:أربع رسائل أدبية في موضوعات مختلفة وهي: الأدب الكبير،والادب الصغير،ورسالة الصحابة،والدرة اليتيمة.[1]

ومن هنا يلحظ القارئ أن أهمية ابن المقفع لا ترجع إلى أنه كان كاتباً من كتاب الدواوين الحكومية، وإنما ترجع إلى أنه مترجما عن البهلوية الفارسية وغيرها،فنقل إلى اللغة العربية خير ما عرفته اللغة الفارسية بالإضافة إلى آداب اللغات التي ذكرتها من قبل، مما كان له أثركبير في الآداب العباسية، سواء منه ما اتصل بالاخلاق، وما اتصل بتاريخ الساسانيين ومن سبقوهم من ملوك إيران.[2]

ونظرا لهذه البلاغة التي امتلك ابن المقفع ناصيتها، فقد كان محل شك ونقد من علماء اللغة العربية في العصر العباسي، واختلف هؤلاء كثيراً حول كتاب كليلة ودمنة، فالجاحظ كان في ريب من أصالة كليلة ودمنة، كما كان في ريب من نسبة باقي مؤلفاته إليه، يقول الجاحظ، ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس الفرس أنها صحيحة غير مصنوعة، وقديمة غير مولدة، إذ كان من مثل ابن المقفع وسهل ابن هارون، وأبو عبيد الله، وعبد الحميد وغيلان، يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير.[3]

.....

1- عبد الحكيم بلبع، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه،مكتبة هبة،القاهرة ط1975/3: 158.

2- ينظر: شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي،دار المعارف، القاهرة ط1981/12: 140.

3-ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق وشرح /محمد عبد السلام هارون،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، 1948-1950: 29.

أجمع القدماء والمحدثون على بلاغة ابن المقفع،وانه كان من البلاغة في الذروة، حيث استطاع أن ينقل أهم ما عرفه في لغته من تراث عقلي وتاريخي وفلسفي وادب إلى اللغة العربية. وهذه البلاغة التي تميز أسلوبه تعددت مصادرها من حيث الأفكار والالفاظ وطريقة الكتابة.[1]

فبالنسبة للأفكار:نجد فكره حتى في ترجمة كليلة ودمنة مستمدا من العقل أكثر من اقتباسه من الدين،حيث نجد كثيرا من الجمل التي تدل على احتكامه للعقل، مثل قوله:"إن الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض إلا بعد النظر إليه والجس لعروقه"،وقوله"لاينبغي لذي العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس، ولكنه جدير بأن يبلوهم".ولم يقم فكرة على الدين إلا في مواقف قليلة جدا، نذكر منها قوله:"ليس مما خلقه الله في الدنيا شيء هو افضل من الإنسان "،وقوله:"لست اعمل لآخرتي عملا افضل من أن اخلص هذا الرجل"،وقوله:إسقه من ماء هذا الشجر فيبرأ بإذن الله".معنى ذلك غلبة الجانب العقلي على الجانب الديني في كتاباته، وهذا الجانب العقلي، يقوم على:الوصايا الخلقية والاجتماعية التي ترشد الناس إلى صالح معاشرهم في أنفسهم وفي علاقاتهم بعناصر المجتمع من أهل السلطان ومن الأصدقاء ومن غيرهم.[2]

ولا يكاد ابن المقفع يحيل عن هذه الطريقة في كل ما يقدم من ترجمات ومؤلفات، هذه السمة البلاغية التي امتاز بها أسلوبه لم تكن تعجب الجاحظ، فيقول:"ذكر أبو بكر الأصم ابن المقفع، فقال:مارأيت شيئاً إلا وقليله أخف من كثيره الا العلم فإنه كلما كثر خف محمله، ولقد رأيت عبد الله بن المقفع هذا في غزارة علمه وكثرة روايته، كما قال عز وجل.....كمثل الحمار يحمل اسفار...،وقد أوهنه علمه، وأذهله حلمه، وأعمته حكمته، وحيرته بصيرته". حيث رأى أن علمه الغزير اوهنه واذهب حلمه، ونفاذ بصيرته حيره، وقد يكون مرجع هذا الاتهام ما نسب لابن المقفع من زندقة.[3]

.....

1-ينظر :شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سبق ذكره:142.

2-م.ن: 512.

3-ينظر: الجاحظ ، رسالة ذم أخلاق الكتاب،دار الكتب العلمية،بيروت ط2001/1: 146/2.

ولد ابن المقفع في مطلع القرن الثاني الهجري حيث ازداد الاستياء من بني أمية، واستقر في النفوس أن الأمويين نبهوا السلطان، وينبغي التخلص منهم حتى يعود العدل وتتحقق المساواة. في بداية الأمر دعا العباسيون إلى الثورة سرا،ولم يذكروا للناس أنهم طلاب خلافة، وانما كانوا ينادون فقط بإسقاط الدولة الأموية الجائرة التي أرهقتهم . شهد ابن المقفع عن كثب مصرع الدولة الأموية، وعاش في عصر جديد، ذلك العصر الذي اتسم بانصهار الثقافات، وصراع المتناقضات، وازدحام الرؤى، فكان من الطبيعي أن يقبل كثير من الناس على مباهج الحياة وملذاتها، وان يجنح كثير منهم إلى حياة الجد والفكر، فينصرفوا إلى التأليف والترجمة والبحث.[1]

وابن المقفع كغيره من الناس يدين بأخلاقه كلها إلى العصر الذي عاش فيه، ويدين بآرائه كلها لمطالعاته وثقافته فهو أديب اجتماعي،قدر له أن يدرك عصر الانتقال من الدولة الأموية العربية إلى الدولة العباسية التي قامت مستندة على أكتاف الفرس واعتمدت عليه. فابن المقفع هو ذلك الرجل النابه، العارف بالفارسية والعربية وهو أحد من أعمدة تلك الحركة الفكرية الناشطة التي أثرت دعائم التراث العربي بالمؤلفات الرائدة التي غدت فيما بعد الاولى في صرح الحضارة العربية.[٢]

وقد حمل هذا بعض النقاد والباحثين من أمثال د/عمر الدقاق على القول بأن هذه النشأة هي التي تفسر اطلاع ابن المقفع على ثقافة قومه الفرس،وتشيعه بأفكارهم، وتأثره بمذاهبهم،وذهب بعضهم أبعد من ذلك، حيث أتهمه البعض بالشعوبية والزندقة حتى بعد اعتناقه الإسلام، وإثرائه الثقافة العربية.[٣]

.....

١-ينظر: المسعودي :183/3.

2- ينظر: عبد الله التطاوي مستويات الحوار في فنون النثر العباسي :47.

3-ينظر: عمر الدقاق ملامح النثر العباسي :23.

عبد الله ابن المقفع ، من أئمة الكتاب وهو "أحد فحول البلاغة، وثاني اثنين مهدا للناس طريق الترسل ورفعا معالم صناعة الإنشاء واولهما (عبد الحميد)، يعد كلا من عبد الحميد الكاتب وعبد الله ابن المقفع مؤسسا مدرسة النثر الفني.[١]

إن بلاغة عبد الله ابن المقفع قائمة في مؤلفاته على كلامه الذي يجري مجرى الحكم والأمثال، وتميزت كذلك بالإيجاز والارسال، الذي يعده من ابن المقفع من صميم البلاغة.[٢]

ويبدو أن ابن المقفع أظهر حرصه الشديد على الإيجاز، وعلى عدم الإطناب، وكان يهدف إلى إيصال مبتغاه بالإيجاز من دون إخلال بالمراد تحصيله، فالإيجاز في نظر ابن المقفع من تمام البلاغة وكمالها،"فكلام ابن المقفع مثلا موجز بالنسبة للجاحظ ومسهب بالقياس إلى كلام الحجاج بن يوسف الثقفي"، فابن المقفع يكون موجزا اذا قارناه بالجاحظ الذي كان يستخدم الإطناب في مؤلفاته، أما إذا رأينا إلى كلام الحجاج ابن يوسف فنجد أن ابن المقفع يطنب بدل أن يوجز، ولكن الحاجة قد تكون إليهما فلكل مقام مقالّ، إلا أنه يؤثر الإيجاز ويحرص عليه، ولا نجده يفضل الإطناب.[٣]

وله كغيره من الأدباء مجموعة من الحكم، تميزت بالفصاحة والإيجاز، ومنها "عمل البر خير صاحب، أحق ما صان الرجل أمر دينه،من ألزم نفسه ذكر الآخرة اشتغل بالعمل،المغبون من طلب ثواب الآخرة في الدنيا، القلب أسرع تقلبا من الطرف، احسن العفو ما كان من عظيم الجرم، الاعتراف يؤدي إلى التوبة، الإصرار وعاء للذنوب، الجواد من بذل ما يظن به، المتطرف لما لا يعينه متعرض لما يكره،الفكر مفتاح القلب، الاستماع أسلم من القول، أكرم الأخلاق التواضع،التواضع يور المحبة،الكبر مقرون به سوء الظن،من عذب لسانه كثر اخوانه،من استبعدالآخرة ركن إلى الدنيا.[٤]

.....

١- الحصري القيرواني ،زهر الآداب وثمر الألباب ،صلاح الدين الهواري: 568/1.

٢- ينظر: فايزيوسف محمد،قاموس الطلاب في الحكم والأمثال:44/1.

3-ينظر: محمد غفراني خراساني،عبد الله ابن المقفع :454.

4- ينظر: ابن المقفع،آثار ابن المقفع،دار الكتب العلمية،بيروت ط1989/1: 341.

أسلوب المرسل يعرف بالأسلوب المطلق،اي أنه اسلوب الإنشاء،"وهو النثر السائد في الكتب العلمية والتاريخية والأجتماعية قديما"،وهذا النوع من الأساليب يكون خاليا من السجع وألوان البيان والبديع،وابن المقفع في جل ما كتبه من مؤلفات لم يتقيد بالأسلوب المسجع ولا الأسلوب المتوازن،وما كان في كتبه من سجع وازدواج لم يعمد إليه،لان هدفه تأدية المعنى على أكمل وجه،ولا يهمه بعد ذلك إن كانت الألفاظ التى اختارها جزلة أم سهلة،موجزة أم مطنبة.ولديه كتابات أخرى كالوصف ونجد أن له كتابات في الابتداءات وبعض الرسائل في الأخوانيات.[1]

وله أيضاً:"أما بعد،من قضى الحوائج لإخوانه،واستوجب بذلك الشكر عليهم فلنفسه عمل لا لهم،والمعروف إذا وضع عند من لا يشكره فهو زرع لا بد لزرعه من حصاده أو لعقبه من بعده.وكتبت إليك ولحالنا التي نحن فيما نذكرك حاجة اول ما فيها معروف تستوجب به الشكر علينا وتدخر به الأيادي قبلنا."....كما يتضح عن بذل المعروف،ويؤثر اللفظ لنا من رسالته الدقة في التفكير،وتحد القريب المألوف،فهو يريده سهلاً،ويصدق على أسلوبه قوله في البلاغة :"هي التي اذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها"،وهذا يكون ضمن ماقبل عنه السهل الممتنع.[2]

بعض ألوان البديع في رسالته الدرة اليتيمة:"لا تخلطن بالجد هزلاً فتسحته،ولا بالهزل جداً فتكدره،وقد عرفت لذلك موضعاً إن فعلت أصبت الرأي وظهرت على الأقران،وذلك إن ماورد بالسفه والغضب وسوء اللفظ فتجيبه إجابة العازل المداعب،برحب من الذرع،وطلاقة من الوجه وثبات في المنطق.[3]

.....

1-ينظر: أنيس المقدسي،تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي:6.

2- ينظر: عبد الله ابن المقفع ،آثارابن المقفع :331.

3-ينظر: ابن حمدون ،التذكرة الحمدونية،تح:بكر عباس وإحسان عباس :380/1

وابـن المقفـع مـن المخضـرمين الـذين رافقـوا الأزمـات السياسـية فـي زمـن الـدولتين الأمويـة والعباسية،فقد عاش في عصر من العصـور الفريـدة فـي حيـاة الأمـة العربيـة والإسلامية،عصـر تبدلات جذرية في البنية الأجتماعية والسياسية والثقافية والروحيـة.فهو مـن ناحيـة عصـر انتقـال شهد سقوط دولة حاكمة وقيام دولة أخرى،وقد بدأ سقوط الدولة الحاكمة بمقدمات عنيفة في القمـع السياسي،وتفضيل للجنس غير العربي من الفـرس وغيرهم،ممـا مهـد الفـرص لظهـور الشـعوبية والشـعوبيين.ومن ناحيـة أخـرى فهـو عصـر تحـول حضـاري عظـيم كانـت تضـطرب فيـه القـيم وتتصادم الأهواء،وبهـذا تظهـر مشـكلة محاولـة التقريـب والجمـع بـين الجديـد الطـارئ وأصـول العقيدة،والتوفيق بين العادات والقيم العربية وتقاليد غير العرب من فرس وهنـود وزنـوج وبربـر وغيرهم من الأجناس،التي أسلمت وخضعت عسـكرياّ للدولـة الإسـلامية.ولكن المـؤرخين اتفقـوا على أن الأجناس المتواجدة آنذاك،لم تكن ترغب في عودة الأمويين،لأنهم كانوا يحاربون كل مـن لم يوافق هواهم من خوارج وشيعة،ويهاجمون العجم،ويقفون ضد رغبتهم فـي معايشـتهم والبقـاء معهم والتعصب للجنس العربي.وبقيام الدولة العباسية بدأ دخول هذه الأجناس وخاصة "الفـرس" الذين تأثروا بحياتهم السياسية،وأنظمتهم في الحكم حتى شغلوا مناصب عليا في السياسة هي غاية في الأهمية.[1]

وكان ابن المقفع في مقدمة الصفوف،فعمل في ديـوان الكتابـة،وكان كاتبـاً للأمـراء قبيـل قيـام الدولة العباسية،فكتب اول ما كتب فـي العهـد الأمـوي لعمـربن هبيـره فـي دواوينـه علـى كرمـان بفارس،ثم لابنه يزيد بن عمر.[2]

.....

١- ينظر: طه حسين،حديث الشعر والنثر ،وطبعه الصاوي،القاهرة 1936: 40.

2- ينظر: الجهشياري , الوزراء والكتاب ،تحقيق مصطفى السقا،وابراهيم الأبياري،وعبد الحفيظ شلبي،مطبعة الصاوي الحلبي واولاده،القاهرة،1938م:105-109.

فقد حوى ابن المقفع العلم في زمانه من أطرافه،فجمع بين ثقافتي العرب والعجم،فقد كان يتقن اللغة الفارسية إتقاناً فريداً،لم يتوفر الا للقليلين من بني قومه،وحذق العربية وبرع فيها،فما زال القدماء يستشهدون بآرائه في الفصاحة والبلاغة.ومن ذلك قول الجاحظ:وقال إسحاق بن حسان بن قوهي:لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط.سئل ما البلاغة؟قال:البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة،فمنها ما يكون في السكوت،ومنها ما يكون في الاستماع،ومنها ما يكون في الإشارة،ومنها ما يكون في الاحتجاج،ومنها مايكون جواباً،ومنها مايكون ابتداء،ومنها ما يكون شعراً،ومنها ما يكون سجعاً وخطباً،ومنها ما يكون رسائل.فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والايجاز هو البلاغة ،وفي اصلاح ذات البين،فالاكثار في غير خطل،والإطالة في غير إملال،وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك،كما إن خير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته.[1]

ولم يكن إتقان ابن المقفع للغات مجرد قراءة ومعرفة،بل تعداه إلى الترجمة،فهو اديب مترجم لغوي فيلسوف عالم بأسرار اللغات التي عرفها،كما إن حظه من اللغة اليونانية جعله من أوائل المترجمين لكتب ارسطوا.فقد ترجم العديد منها في المنطق والجدل والقياس والمقولات.وحسبنا إن نتبين مكانته العلمية بما روي عنه.اجتمع الخليل بن احمد الفراهيدي ذات يوم وعبد الله بن المقفع يتحدثان إلى الغداة،فلما تفرقا قيل للخليل :كيف رأيت ابن المقفع؟فقال:رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله.وقيل لابن المقفع :كيف رأيت الخليل؟،قال:"رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه".[2]

.....

1- ينظر: البيان والتبيين ،لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،تحقيق :عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي بالقاهرة ط1405/5هـ -1985م: 1/ 115-116.

2-ينظر: وفيات الأعيان : 151/2.

الفصل الثاني

أثر ابن المقفع في الألفاظ والمعاني

إنّ النص الأدبي عبارة عن لفظ ومعنى،وهناك من النقاد من تعصّب للفظ،وهناك من فضلّ المعنى،وهناك من ترك هذا وذاك وقال بالعلاقة القائمة بينهما،وبحث بعضهم عن دلالة الألفاظ في ضوء المعاني،كلّ ذلك من أجل تقويم النص الأدبي،وهذه الإعتبارات المختلفة جعلت الدارسين يعنونَ بقضية اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم،وهي من أشدها في تحديد دور كل منهما في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية.[1]

أبرز القضايا التي خاض فيها النقاد قديماً،إذ قامت معركة بينهم لذلك لا بد من تعريف اللفظ والمعنى لُغةً،فاللفظ مصدر للفعل بمعنى الرمي،ويتناول مالم يكن صوتاً وحرفاً،وما هو حرف واحد أو أكثر،مهملا كان أو مستعملا،صادر من الفم أو لا،ثم خُصَّ في فما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج حرفاً واحد أو أكثر،مهملا أو مستعملا.وجاء في لسان العرب:"لفظت الشيئ من فمي ألفظه لفظاً رميته،يقال أكلتُ الثمر ولفظتُ النواة أي رميتها".أما المعنى فهو ما يُقصدُ بشيء،ولا يطلقون المعنى على شيءٍ إلاّ اذا كان مقصودا،واما اذا فُهمَ الشيءُ على سبيل التبعية فيسمى معنىً بالعرض لا بالذات،ومعنى كلِّ كلام ومعناته ومعنيته:مقصده"،فالمفهوم اللغوي للفظ أنه ما يتلفظُ به الإنسان من الكلام،وللمعنى أنه المقصودُ باللفظ،فالقصدُ شرطٌ في اللفظ والمعنى.واللفظ في الاصطلاح هو ما يتلفظُ به الإنسان أو في حكمه،مهملا كان أو مستعملاً.[2]

.....

1-ينظر:الكفوي،أبو البقاء،الكليات،تحقيق عدنان درويش ومحمد مصري،مؤسسة الرسالة بيروت ط1992/1: 795.

2- ينظر: ابن منظور،لسان العرب،دار صادر بيروت 1955م:461/7.

وكما ورد مصطلح أرباب المعاني:هو عبارة عن صورة المعنى الأول الدال على المعنى الثاني على ما صرح به الشريف الجرجاني،اذ قال "اذا وضعوا اللفظ بما يدل على تفخيمه لم يريدوا اللفظ المنطوق،ولكن معنى اللفظ الذي دلَّ به على المعنى الثاني"ما المعاني فهي الصورة الذهنية إذ وقع بإزائها اللفظ من حيث أنها تقصد منه،وذلك ما يكون بالوضع،فإن عبر عنها بلفظ مفرد سمي معنى مفردا،وإن عبر عنها بلفظ مركب سمي معنى مركبا. [١]

والمعاني هي الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل،فمن حيث أنها تقصد باللفظ سميت معنى،ومن حيث أنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوما." والمعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بغير واسطة."يتضح إذن من خلال هذه التعريفات،أن طبيعة اللفظ والمعنى هو التلازم،فلا وجود للفظ بدون معنى،ولا وجود لمعنى بدون لفظ فإذا كان المعنى صورة ذهنية فقد وضع بإزائه لفظ هو القصد من تلك الصورة أو هويتها.[٢]

فقد تعامل المتكلمون مع مشكلة اللفظ والمعنى على نحو يختلف عما كان عليه الأمر مع الأدباء أو النقاد،وتعرض لها الأصوليون في بحوثهم ودراساتهم على نحو آخر يختلف عما كان عليه الأمر مع .الفقهاءواللغويين والفلاسفة،فكل بيئة كانت تعرض لهذه القضية وتتناولها من زاويتها الخاصة،وتذهب فيها مذاهب،وتؤلف حولهاآراء ونظريات،وإن كان الأساس الذي ترتكز عليه جميع البيئات يكاد يكون واحدا،فالمحفزلهذا الصراع فكرة الإعجاز في القرآن وارتباط الفكر النقدي والبلاغي بمضامينها،بوصفه عربياً إسلامياً.من اراء العلماء والأدباء والنقاد،وهو في كل ذلك يضع الأناقة والجودة والجمال في الألفاظ،فالمقياس عندهم للقيمة الادبية أنما يتقوم في جوالة اللفظ،وجودة السبك،وحسن التركيب لأن((المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والقروي،والبدوي،انما الشأن في إقامة الوزن،وتخير اللفظ ،وسهولة المخرج،وفي صحة الطبع،وجودة السبك.))[٣]

.....

١-ينظر:الكفوي،ابو البقاء،الكليات:795.

2-ينظر:التهانوي،محمدعلي،كشاف اصطلاحات الفنون،دار صادر بيروت:١٠٨٤/٣

3- ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،الحيوان:تحقيق عبد السلام هارون،القاهرة،1945م:132.

من القضايا المهمة في الحقل البلاغي الذي استخدمها ابن المقفع في نثره هي قضية اللفظ والمعنى،وقد بدأت هذه القضية في أول أمرها في رحاب علم الكلام والعقائد وبعد ذلك انتقلت إلى رحاب علم البيان والأدب،وهي من المرتكزات الأساسية للحكم على النص الأدبي،لقد قدم النقاد والبلاغيون مجموعة من المواصفات التي يجب أن تتوافر في النص على المستويين الافرادي والتركيبي بوصفها المادة الأولية للنص بل إن النص يقوم على هذين المستويين ويعتمد على المشاكلة بينهما،وهذه المشاكلة لا يمكن أن تكون إلا من خلال معرفة الشروط الواجب توافرها في كل من اللفظ والمعنى.لقد قيل عن ألفاظ ابن المقفع أنها صافية،دقيق المطلب وفي هذا القول كناية عن وضوح ألفاظه وسهولتها،وسمة ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه الوضوح والسهولة هي المعيار الأساسي لفصاحة اللفظ،ومتى كان أيضا كريما في نفسه متخيرا في جنسه،وكان سليماً من الفضول،بريئاً من التعقيد،حبب إلى النفوس واتصل بالإذهان،وألتحم بالعقول،وهشت إليه الأسماع وارتاحت إليه القلوب كل ذلك تجده في ادب ابن المقفع.[1]

إن ابن المقفع يعطي ألفاظه بقدر ما يلبس معانيه فيجمع بين الجزالة والوضوح.فتأتي معانيه ناصعة وألفاظه فصيحة سلسة،بعيدة عن الوحشية والسوقية،منتظمة الاجزاء،صحيحة المعاني،وكأنه يمشي على صفاء الطبع،ونقل الأفكار،متتابع بعضها بعضا.وبهذا المعنى فهم ابن المقفع البلاغة في أسلوبه الكتابي فتراه يوصي أحد الكتاب قائلاً:(عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلية ويعرف البلاغة بأنها :كشف ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق).[2]

.....

١-ينظر :عبد المطلب محمد،البلاغة العربية،قراءة أخرى،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،دار توبال ط١ /1997 : 41.

2- الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر ،البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دارالجيل بيروت ط2.

أن الأسلوب الادبي يقوم على عدة اركان تنحصر بالطريقة التي يعتمدها المبدع،لذلك يعرف الأسلوب بأنه (طريقة في التفكير والتصوير والتعبير) وهذا ما اعتمده ابن المقفع،اللفظ والمعاني من القضايا المهمة في الحقل البلاغي قضية اللفظ والمعنى،وقد بدأت هذه القضية في أول أمرها في رحاب علم الكلام والعقائد وبعد ذلك انتقلت إلى رحاب علم البيان والادب،وهي من المرتكزات الأساسية للحكم على النص الأدبي،لقد قدم النقاد والبلاغيون مجموعة من المواصفات التي يجب أن تتوافر في النص على المستويين الافرادي والتركيبي بوصفها المادة الأولية للنص بل إن النص يقوم على هذين المستويين ويعتمد على المشاكلة بينهما،وهذه المشاكلة لا يمكن أن تكون إلا من خلال معرفة الشروط الواجب توافرها في كل من اللفظ والمعنى.[١]

استخدم ابن المقفع في نثره الاقتباس والتضمين القبس في اللغة هو الأخذ واقتبست منه علماً، واقتبستها:الأخذ منها فالاقتباس (مادة قبس).أما التضمين لغة:من ضمن الشيء الشيء:اودعة إياه كما تودع الوعاء المتاع.[٢]

وذكر الجاحظ بقوله :(وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل،وفي الكلام يوم الجمع)،اي من القرآن الكريم أن ذلك(ما يورث،الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع).[٣]

إن البلاغيين القدامى لم يكونوا يفرقون بين ما هو (تضمين)على وجه العموم،وما هو (اقتباس)على وجه الخصوص،الا أنهم لم يكونوا يفرقون بين ما هو لغة،وما هو اصطلاح،ذلك إن المسائل البلاغة كانت أقرب إلى الرأي والذوق،منها إلى قواعد النقد ميزان المنطق.[٤]

.....

١- عبد المطلب محمد،البلاغة العربية،قراءة اخرى،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،دارتوبال،ط١/1997 :41.

2- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي(ت711-5).لسان العرب قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي،اعداد وتصنيف يوسف الخياط،ونديم المرعشلي،دار لسان العرب،بيروت،ط١/1970 :43.

3- الجاحظ ابو عثمان عمر بن بحر،البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الجيل بيروت،ط2 .

4-البديري حكمت فرج،معجم آيات الاقتباس،دار الرشيد للنشر،ط1/1980 :89.

واستخدم ابن المقفع التقديم والتأخير إن لغة العرب تزخر بفنون بلاغية متنوعة ولعل هذه الفنون هي التي أسدت إلى لغة الضاد هذا التفرد بين لغات العالم ومن هذه الفنون هو التقديم والتأخير.الذي له أهمية بالغة الأثر في لغتنا العربية،ويعتبر من أساليب الكلام الذي تظهر فيه المواهب والقدرات ويكون دليلاً على تمكن صاحبه من الفصاحة وحسن التصرف في الكلام ووضعه الوضع الذي يقتضيه المعنى.وتبرز أهميته لكونه بؤرة أساسية في الاسلوبية التركيبية بسبب أن هناك تغيرات تطرأ على طريقة الترتيب بحيث يقدم عنصراً أو يؤخر.(١)

فهو يمنح للأديب حرية التصرف في العبارة بالنقل بين مكوناتها،فتأتي اللغة لمستعملها طبعة مرنة بين يديه بتقديم لفظ من حقه التأخير أو العكس ولكن بحسب نظام محدد أطلق عليه عبد القاهر الجرجاني (توخي معاني النحو)،ويكون هذا على تحقيق العرض بدقة وهذا التقديم اغراض بلاغية متعددة جميعها تحقق جانبا إضافيا الجانب يتمثل بتحريك مشاعر المتلقي وبذلك تدفع السأم والملل عن القارى للنص الأدبي،وان غلب الذوق الجمالي القائم على التحليل اللغوي على تحليلات البلاغيين لها.(٢)

فالملاحظ أن ابن المقفع استعمل اسلوب التقديم والتأخير في أكثر من موضع فقد قدم الجار والمجرور (فيها)وهو فضلة الكلام على (خلالها)وهو مفعول به،وقدم الجار والمجرور (على الخير)على(بأعوان)وهو خبر مجرور بحرف جر زائد،وقدم الجار والمجرور (إلى اقتلاعهم)على(سبيل)وهو اسم ليس،وقدم الجار والمجرور (له)وهو خبر ليس على (سبيل)وهو اسمها.الا إن الغرض الأساس هو الدعوة إلى تحقيق الإصلاح لما فيه من نتيجة سامية فالاهتمام بهذا المبدأ والعناية به تحقق من خلال هذا الأسلوب.وكذلك نجد التقديم والتأخير في رسالة الصحاب في قوله:(فلو رأى امير المؤمنين أن يأمر بهذه القضية والسير المختلفة فترفع اليه في كتاب)،وهذا الأسلوب في كلام ابن المقفع يعطي قوة وتأكيدا على دور الحاكم وتوليه مسؤوليته تجاه الرعية.(٣)

.....

1- ينظر: سليمان فتح الله،الاسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية،الدار الفنية للتوزيع والنشر،ط١/1990 :18.
2- ابن المقفع عبد الله،المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الله بن المقفع.يوسف ابو حلقة،دار التوفيق بيروت ط2/1987: 48.
3- م.ن:1989-209.

عمل ابن المقفع بالنظم إلى أصل قائم على أساس من علم النحو،وطبيعي إن النحو يعني ببناء الكلمة واعرابها،ومعرفة هذه الصيغة -وان كانت منصبة على اللفظ-فانها ترتبط بمعنى اللفظ في وضعه بمكانه من المعنى المراد،لان المعاني لا يحل ابهامها مالم يقصد إليها من خلال الالفاظ،والالفاظ لا يفهم مؤداها مالم تضبط صياغة وتصريفاً ونحواً بناء واعراباً على حد سواء،وهما متعاونان معاً على كشف العلاقة التي عبر عنها بالنظم وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه على النحو،وتعمل على قوانينه وأصوله،وتعرف منهاجه التي نهجت فلا تزيغ عنها،وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تحل بشيء متخذاً بالإضافة إلى هذا التشبيه والمجاز والاستعارة مضماراً لشرح آرائه، وميداناً لاستدراكاته على أصحاب اللفظ،وان النظر إلى هذه المقومات اللفظية بأقسامها وانواعها لا يعود لالفاظها فحسب،وانما للمعاني وما تضيفه على الألفاظ مما يكون حسن النظام وجوده التآليف،وهو العلاقة المترتبة على فهم القسمين اللفظ والمعنى.[1]

كما أن ابن المقفع قوي الحجة،عجيب المناظرة،في جولته النقديةهذه،يزيدك سخرية بأولئك جرحاً وتقويماً،وارجاعاً بآرائهم إلى ما اعتادوه دون رؤية وتمييز من شغف بالبديع وتعلق بالصناعة،حتى ليصعب فهم ما المقصود من الكلام،فالسامع يخبط في عشواء،من كثرة التكلف وشدة التمحل،وهو يقرر هذا المعنى بقوله:إن في كلام المتأخرين كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما اسم في البديع،الى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم،ليقول وان يوقع السامع من طلبه خبط عشواء،وربما طمس بكثرة ما بتكلفه على المعنى وافسده كمن يثقل العروس بأصناف الحلي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسهم.[2]

ان الاهتمام بقضية اللفظ والمعنى واختلاف الرؤية فيها يعود إلى أسباب انطلقت أساساً من قراءات النص الديني القرآن الكريم للكشف عن وجوه إعجازه الذي كان الدافع إليه في بعض الحالات،رد مزاعم الطاعنين،وجلاء الحقيقة أمام المشككين الذين خفيت عنهم اسرار بيانه .[3]

.....

١-ينظر:ابن المقفع عبد الله ،المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الله بن المقفع.يوسف ابو حلقة،دار التوفيق_بيروت ط٢/1987م:165.

2-م.ن:167.

3-ينظرك الجرجاني،عبد القاهر،اسرار البلاغة في علم البيان:تحقيق محمد رشيد رضا،دار المعرفة بيروت لبنان :٥.

إن اهتمام ابن المقفع في الثنائية في الثقافة العربية الاسلامية،فقد كانت محط اهتمام الباحثين والدارسين على اختلاف بيئاتهم ومعارفهم،فتعددت حولها النظريات وتضاربت حولها الآراء،واختلفت المناهج والمصطلحات من حقل لآخر.ونستطيع أن نقول إن التداخل والترابط الذي تتسم به ثقافتنا العربية الاسلامية،جعل من هذه الثنائية إرثا مشتركا بين جميع البيئات المعرفية،لان الاهتمام بها كان يستهدف اساسا خدمة النص القرآني،ودراسته وتحليله،فكان لكل بيئة نصيبها من المادة الموصوفة.بحث هذه القضية ومعالجتها بما يتناسب وطبيعة.فالمحفز لهذا الصراع فكرة الاعجاز في القرآن وارتباط الفكر النقدي والبلاغي بمضامينها،بوصفه عربياً إسلامياً،فكان النزاع محتدماً في اين يكمن الاعجاز،في اللفظ وتأليفه،او المعنى ودلالته،او بهما معاً، أم بالعلاقة المتولدة بين هذا وذاك.[1]

لقد كان ابن المقفع بليغاً ويكفي أنه استطاع أن ينقل أهم ما عرفه في لغته الفارسية إلى العربية مع الاحتفاظ لها بكيانها ومشخصاتها،فقد ظلت العربية عنده محتفظة بأصولها الاولى ومقوماتها الأساسية مع السلامة والسلاسة والطلاوة،كل ذلك تجده عندما تقرأ له في رسالة الصحابة إذ يقول:(ما يحتاجون فيه من منفعة من ذلك تقويم أيديهم ورأيهم وكلامهم،فان في ذلك القوم اخالطا من رأس مفرط غال،تابع متحير شك.ومن كان شك إنما يصول على الناس بقوم لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول والسيرة،فهو كراكب الأسد الذي يوجل من رآه،والراكب اشد وجال)[2]

ويرى ابن المقفع أن اللفظ والمعنى حقيقتان متحدتان،ومنزلتهما واحدة لا تمايز بينهما،والعناية بأحدهما عناية بالطرف الآخر،والاهتمام يجب أن يقسم عليهما بالتساوي لانه اهتمام بالعمل الادبي وزنة للقيمة الفنية فيقول :(وليست منزلة المعنى دون منزلة اللفظ في تقدير القيمة الفنية للعمل الادبي،ولا شك عند المنصفين أن وجوب مراعاة جانب المعنى لا يقل شأناً عن وجوب الاهتمام بالالفاظ).[3]

.....

١-ينظر:ابن الأثير ابو الفتح،المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،ط١/1939م:13.

2- ابن المقفع عبد الله،المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الله بن المقفع،يوسف ابو حلقة،دار التوفيق بيروت ط2/1987م:66.

3- م.ن:84.

أجمع كثيرون على أن كاتبنا كان إماما في البلاغة غير مدافع حتى ضربوا الامثال ببلاغته،قال ابو تمام:

فكأن قيساً في عكاظ يخطب وكأن ليلى الأخيلية تندب

وكثير عزة يوم بين ينسب وابن المقفع في اليتيمة يسه [1]

بلغت رسائل ابن المقفع نجاحاً عظيماً من حيث اسلوب الشائق البديع حتى عد من البلغاء اللامعين في العالم العربي،لم يكتب باللغة العربية القديمة،يكتفى بالتعبيرات العامة،ويؤثر الخصائص البارزة بعبارات مقاربة،يعبر استعماله اللغوي في دائرة تركيب الألفاظ وصياغتها عن طموحه الدائم إلى تبسيط الموائم،للغرض،وكذلك فإن تركيبه النحوي واضحاً شفافاً التعجب،ويتفادى تصنيف الكلام،وما شابه ذلك مما يستفيض في لغة البدو.[2]

وهذا التطور في الأسلوب الذي نستطيع ملاحظته عند ابن المقفع آذن بشروع عهد جديد في تاريخ اللغة العربية،دعا إليه الانتقال من حياة البدو إلى حضارة المدن،وتغلغل غير العرب في ميادين الادب،مما أنتج لغة سهلة ومتدفقة وواضحة سرعان ما احتذاها المثقفون واستعملوها في الادب في العالم العربي.[3]

.....

١-ينظر:ابو تمام،ديوان بشرح الخطيب التبريزي،تحقيق محمد عبده عزام،دار المعارف،مصر1993 :1/39-40.

٢-ينظر:ابن النديم ،الفهرست،دار المعرفة،بيروت ط1 ،1964م:128.

3- ينظر: الجاحظ،البيان والتبيين دار الاحياء التراث العربي،بيروت،1968م:115.

سبق ابـن المقفـع الجـاحظ بقـرن كامل،وعاصـر عبـد الحميـد الكاتـب وكان،ولكنـه لـم يتـأثر بأسلوبه،ولم يسر على طريقته في الكتابة،على الرغم صديقا له من شيوع هذه الطريقة وانتشارها بين أوساط الكتاب،لم يستطيع كاتبنا أن يجاري هذا البيان العربـي الاصيل،وبخاصـة فـي ألفاظـه وقوة وتراكيبه،وكان الأسلوب المولد بالفاظه السهلة،وتراكيبه البسيطة قد بـدأ ينتشـر فـي أوسـاط الشعراء وأخذ طريقة مع حركة المد الفارسية إبان قيام الدولة العباسية،فكان ابن المقفع من أوائـل الكتاب الذين ادخلوا الأسلوب المولد إلى ميدان النثر الفني وساعده على ذلك أمران:أولهما :المامه بالثقافات المتعددة في عصره،وثانيهما :عمله بالترجمة،اذ كان في كتاباته مترجماً أكثر منه مؤلفـاً والمترجم يسير إلى السهولة والوضوح،ليكون قريباً إلى جمهور القراء.[١]

يتسم اسلوب كاتبنا بدقة الألفاظ،وترتيب الأفكار وتفصيل المعاني بعد إجمالها،وهو لاشك اثر من آثار ثقافته الفلسفية والمنطقية التي تسللت إليه من خـلال ترجمتـه لكتـاب أرسـطو ومـن ذلـك قوله:((فإنما احياء العقل الذي يتم به ويستحكم خصال سبع بالمحبة،والمبالغة في الطلب،والتثبـت في الاختيار،والاعتبار للخير،وحسن الرعي،والتعهد لما اختير واعتقد))(٢)

ويلجأ كاتبنا احيانا إلى القوالب والصيغ الاسلوبية الجاهزة ويصب أفكاره،ليوفر لأسلوبه شيئاً من الإيقاع والنغم الصوتي وذلك من قوله:((أحق الناس بالسلطان أهـل المعرفـة،وأحقهم بالتـدبير العلماء، وأحقهم بالفضل اعودهم على الناس بفضله،وأحقهم بالعلم أحسنهم تأديباً))[٣]

.....

١-ينظر:يوهـان فك،العربية،دراسـات فـي اللغـة واللهجـات والأسـاليب،ترجمة :د.رمضـان عبـد التـواب ،مكتبـة الخانجي ،مصر،1980 :64-65.

2- ابن المقفع ،الادب الصغير والادب الكبير،دار بيروت للطباعة والنشر،لبنان،1397ه/1977م.

3-م.ن:33.

ولا شك أن ابن المقفع دفع النثر العربي إلى درجات عالية فهو (استاذ المدرسة النثرية الاولى بكل ما تحمله كلمة استاذ من معنى).[١]

فكان ينشئ الرسائل التي تعالج مختلف الموضوعات التي تمس الحياة الاجتماعية والفكرية وكان اهتمامه منصباً على تفصيل الموضوعات دون الاهتمام الشديد بالتصوير الفني و بالزخرف اللفظي والتنميق الاسلوبي والجرس الموسيقي(وعلى هذا كانت ألفاظ ابن المقفع معان ومعانيه حكم لا يدع).[٢]

ولم تكن معانيه تستهلك ألفاظه ولا ألفاظه تستهلك معانيه بل كان يقدر اللفظ على المعنى تقديرا واعيا.[٣]

لقد قيل عن ألفاظ ابن المقفع أنها صافية وكأنها جاءت منخولة في منخل دقيق،(وفي هذا القول كناية عن وضوح ألفاظه وسهولتها،وسمة الوضوح والسهولة هي المعيار الأساسي لفصاحة اللفظ،(ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيرا في جنسه،وكان سليم من الفضول،بريئاً من التعقيد حبب إلى النفوس واتصل بالأذهان،والتحم بالعقول،وهشت إليه الأسماع وارتاحت إليه القلوب).[٤]

.....

١- ابن المقفع عبد الله،المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الله بن المقفع يوسف ابو حلقة دار التوفيق بيروت 1987م:21.

2- عبد المطلب محمد البلاغة العربية،قراءة أخرى،الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان،دار توبال،ط1 1997 :41.

3-م.ن:42.

4- الجاحظ،ابو عثمان عمر بن بحر،البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الحيل بيروت:8.

ويلاحظ في أسلوب ابن المقفع إتكائه على أسلوب الاقتباس،فكثيراً الآية القرآنية ما تنساب أو شيء منها في أثناء كلامه،كما في قوله(ولكن الله مَّن عليهم بدينهم الذي لم يكن يسعه رأئيهم كما قال:(وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)(سورة الأعراف :43).[1]

لقد أجاد ابن المقفع في استعماله لألفاظ التشبيه وبلغ به مبلغاً عظيماً كان فيه مضرباً للمثل نجد ذلك في قوله :(ولا يعتبر بالمقاييس فإنه لو أراد أن يقوده الصدق لم ينقد له وذلك أن رجال لو قال:اتامرني أن أصدق فال اكذب كذبة ابدا؟حتى تبلغ به أنه يقول الصدق في رجل هارب استدله طالب ليظلمه فيقتله لكسر عليه قياسه وكان الرأي أن يترك ذلك إلى المجمع عليه)[2]

فابن المقفع يقرر في هذا النص أن القياس لا ينتهي احيانا إلى حقيقة،ويشبهه بالرجل طلب منه أن لا يكذب كذبة ابدا وعندما تسأله عن مسألة متفرعة،يجب في كل حال،حتى يستمر به الأمر يقوده جوابه إلى أن يناقض المسلمات،وهذا هو حال صاحب القياس يبحث في كل الحوادث ويتمثلها دون النظر إلى أسبابه.[3]

كما استخدم ألفاظ الجناس أن هذا التشابه بين اللفظتين في النطق يجعل القارئ يخيل إليه أن معناهما واحد في حين أن معناهما مختلف اشد الاختلاف ذلك إن قيمة هذه الوسيلة تبرز في الإيهام ففائدته تتجلى في (شحذ النفس وتحريكها نحو تخيل صورة المعنى المقصود).[4]

.....

١- ابن المقفع ،عبد الله.المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الله بن المقفع.يوسف ابو حلقة،دار التوفيق بيروت 1987م: 199.

2-م.ن:194.

3-م.ن:197.

4- علي ايمان عبد الحسن ،الخطاب في نهج البلاغة -دراسة موضوعية فنية, 1429هـ-2008م:136.

ويبدو أن ابن المقفع كان يعلم فائدة اسلوب القصر في استخدامه للألفاظ إذ. أنه يمكن الكلام ويقرره في الذهن،وينفي عنه كل إنكار وشك.وهذا ما أراده ابن المقفع فإنه أراد أن يوصل نصائحه إلى الخليفة ويحفظها عامة الناس.فضلاً عن أن هذا الأسلوب يحدد المعاني تحديدا كاملا ودقيقاً،ويفيد ذلك في المسائل العلمية والأحكام الشرعية وما يماثلها .إن اسلوب القصر يحقق الإيجاز فهو يقدم المعنى في جملة واحدة بدلا من جملتين.وهذا ما كان ينشده ابن المقفع في رسالته ويميل إليه ويقول :(الإيجاز هو البلاغة)،(والايجازهو أعظم ركن من أركان البلاغة العربية).[1]

.....

١- الخراساني محمد غفراني،عبد الله بن المقفع،الدار القومية للطباعة والنشر،1965 :476.

الخاتمة

وقد بدأ البحث مع ابن المقفع عارضاً حياته وأدبه ، وكان منهج الدراسة فـي هـذا العـرض ، هو استقصاء أقوال الكتاب حول حيـاة ابـن المقفـع وتـرجيح أقربهـا للصـواب ، ثـم عرضـه فـي الدراسة ، وخرجنا منها إلى أن هناك عدة عوامل كان لها أكبر الأثر في حياة ابن المقفع وتتلخص في : نشأته في بلاد فارس ثم انتقالـه إلـى البصرة والالتقاء بعلمائها وأدبائها ومجالستهم ، وإتقانـه للغتين الفارسـية والعربيـة وإلمامه بأسرارها ، واتصاله بأمراء الدولتين الأمويـة والعباسـية ، ثـم ترجمته للعديـد من الكتب الفارسية إلى العربية ، والتي تدور حول المنطـق والفلـسفة والـصداقة والسير، والحكم والسياسة.

وقد جمع القدماء والمحدثون على بلاغة ابن المقفع،وانـه كـان مـن البلاغـة فـي الـذروة، حيـث استطاع أن ينقل أهم ما عرفه في لغته من تراث عقلي وتاريخي وفلسفي وادب إلى اللغة العربية. وهذه البلاغة التي تميز أسلوبه تعددت مصادرها من حيث الأفكار والالفاظ وطريقة الكتابة

وقد استخدم ابن المقفع التنوع في الالفاظ التي يستخدمها في نثره لـذلك نسـتنتج ممـا سـبق أن الألفاظ والمعاني عند ابن المقفع قد أسبغ عليها قيمة صوتية،حققت الغايتين الأفهامية والجملية فهو يعمل على شحذ ذهن المتلقي،وجعله يشارك في التوصيل الى المعاني من خلال السـياق،ومن ثـم يحمل المقابل على العيش في جو متناغم من التأمل للكلام.ومعنى ذلك أن ابن المقفع كان اهتمامـه بالمعنى بالمرتبة الأولى ولذلك وظّف إليه الجانب الصوتي.

المصادر

1. ابن الأثير ابو الفتح،المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،ط١, 1939م.
2. ابن المقفع ،الادب الصغير والادب الكبير،دار بيروت للطباعة والنشر،لبنان،1397ه/1977م
3. ابن المقفع عبد الله،المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الله بن المقفع.يوسف ابو حلقة،دار التوفيق-بيروت ط2, 1987م.
4. ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، بيروت، دار بيروت، 1977م.
5. ابن المقفع،آثار ابن المقفع، ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1989.
6. ابن النديم ،الفهرست،دار المعرفة،ط١،بيروت،1964م
7. ابن حمدون ،التذكرة الحمدونية،تح:بكر عباس وإحسان عباس ،ج1،ط1, دار صادر, بيروت, 1996.
8. ابو اسحاق ابراهيم الحصري القيرواني, زهر الادب وثمر الارباب, تقديم صلاح الدين الهواري, ج1, المكتبة العصرية, بيروت, 2005.
9. ابو تمام،ديوان بشرح الخطيب التبريزي،تحقيق محمد عبده عزام،ج١،دار المعارف،مصر،1993
10. أبو عثمان عمرو بن بحر ،الجاحظ ، الحيوان , تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ، ١٩٤٥ م
11. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق وشرح /محمد عبد السلام هارون،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، 1948-1950 .
12. أنيس المقدسي،تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي, دار العلم للملايين, ط4, بيروت, 1968.
13. البديري حكمت فرج،معجم آيات الاقتباس،دار الرشيد للنشر،ط1, 1980.
14. بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية، بيروت،دار مارون 1979.
15. بن منظور محمد بن مكرم بن علي(ت711ه). لسان العرب، قدم له العالمة الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، ونديم المرعشلي،ط1, دار لسان العرب، بيروت، 1970.
16. التهانوي ،محمد علي : كشاف اصطلاحات الفنون، دار صادر بيروت.: ١٠٨٤/٣

17.الجاحظ ، رسالة ذم أخلاق الكتاب،ج2, الطبعة الاولى،دار الكتب العلمية،بيروت،2001.
18.الجرجاني،عبد القاهر،اسرار البلاغة في علم البيان:تحقيق محمد رشيد رضا،دار المعرفة, بيروت, لبنان, (د.ت).
19.الجهشياري , الوزراء والكتاب ،تحقيق مصطفى السقا،وابراهيم الأبياري،وعبد الحفيظ شلبي،مطبعة الصاوي الحلبي واولاده،القاهرة،1938م.
20.حمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي ،ص25دار الثقافة ط29 بيروت1985.
21.الخراساني محمد غفراني،عبد الله بن المقفع،الدار القومية للطباعة والنشر،1965.
22.سليمان فتح الله،الاسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية،الدار الفنية للتوزيع والنشر،ط١, 1990.
23.الشريف المرتضى علي بن الحسن الموسوي(436ه)،امالي المرتضى،غرر الفوائد ودرر القائد،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،ط٢، 1428ه.
24.شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة الثانية عشر،دار المعارف، القاهرة1981.
25.شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، الطبعة السادسة، دار المعارف،القاهرة،1975 .
26.طه حسين،حديث الشعر والنثر،ت, وطبعه الصاوي،القاهرة 1936م.
27.عبد الحكيم بلبع، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، الطبعة الثالثة،مكتبة هبة،القاهرة 1975.
28.عبد المطلب محمد البلاغة العربية،قراءة أخرى،الشركة المصرية العالمية للتشر،لونجمان،دار توبال،ط1, 1997.
29.عبد المطلب محمد،البلاغة العربية،قراءة أخرى،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،دار توبال ط١ ,1997،
30.عبدالله التطاوي , مستويات الحوار في النثر العباسي , دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ,مصر , د.ت.
31.علي ايمان عبد الحسن ،الخطاب في نهج البلاغة -دراسة موضوعية فنية, 1429ه-2008م.
32.عمر الدقاق , ملامح النثر العباسي , دار الشرق العربي , بيروت , د.ت.
33.فايزيوسف محمد،قاموس الطلاب في الحكم والأمثال،ج1, ط4, دار الكتاب العربي, بيروت, 1994.
34.الكفوي،أبو البقاء،الكليات،تحقيق عدنان درويش ومحمد مصري،مؤسسة الرسالة بيروت،الطبعة الأولى.1992م

35.لجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبين، تحقيق عبد السالم محمد هارون، دار الجيل بيروت، د. ط، د.ت.
36.محمد غفراني خراساني،عبد الله ابن المقفع, الدار القومية , القاهرة, 1965.
37.محمد كرد علي، أمراء البيان، الطبعة الثالثة، دار الأمانة، بيروت،1969.
38.المسعودي, مروج الذهب ومعادن الجوهر, تحقيق: محمد محي عبد الحميد, ج2, ط2, دار الفكر, بيروت, 1972.
39.وفيات الأعيان وأبناء أيتام الزمان ، لابن خلكان ،تحقيق د٠إحسان عباس ، وزارة الثقافة ، بيروت ١٩٧٢.
40.ينظرأبو العباس، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط2،بيروت، دار صادر.
41.يوهان فك،العربية،دراسات في اللغة واللهجات والأساليب،ترجمة :د.رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ،مصر،1980